سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٣٥)

تَفْرِيْغُ لِقَاءٍ بِعُنْوَانِ:

فَقْدُ العُلَمَاءِ وَقَضَايَا مَنْهَجِيَّة

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حفظه الله-

إِعْدَادُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء بعنوان: فقد العلماء وقضايا منهجية

لفضيلة الشيخ د. محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-

المقدِّمة[1]: [أما بعد، فإنَّ من فضل الله على عباده أن يلهمهم السداد في الدين والبصيرة فيه، ومن ذلك مجالسة العلماء وسؤالهم امتثالاً لقول ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣]، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: (أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ)[2].

وعليه، فالتقينا بصاحب الفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله ونفع الأمة به- المُدرِّس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية[3] عصر يوم الجمعة السابع عشر من شوال من عام ١٤٢١ من هجرة المصطفى ﷺ، وذلك ببيته -حفظه الله-...] انتهى.

---

(١) هذه المقدمة بصوت الأخ الذي يسأل الشيخ في هذا اللقاء، وقد أوردتها لأجل التاريخ والوقت والمكان.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم (٣٣٦)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٥٧٢) وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود -الأم» (٢/ ١٥٩).

(٣) وقد تقاعد شيخنا -حفظه الله- من الجامعة -بطلبٍ منه- يوم الإثنين ٣٠/ ٦/ ١٤٤١هـ، بعد أن أتمَّ فيها ثلاثة وثلاثين سنة هجرية، متنقِّلاً بين كلياتها في التدريس، وقد نشرتُ عبر الشبكة مقالًا بعنوان: «العيون الدامعة لتقاعد شيخنا محمد بن هادي من الجامعة»، فليرجع إليه من أحب، والله الموفق.

السؤال الأول: فضيلة الشيخ، تمر الأمة الإسلامية والدعوة السلفية المباركة بِمِحَنٍ وبلايا وسنوات شديدة بعد فقدها لخيرة أبنائها وهم العلماء وعلى رأسهم سماحة الوالد الشيخ ابن باز -عليه رحمة الله-، والشيخ الألباني -عليه رحمة الله-، وثالثهم وآخرهم الشيخ ابن عثيمين -تغمَّده الله برحمته-؛ فهل من كلمة تُوجِّهونها إلى الشباب السلفي عامة والشباب السلفي في الجزائر خاصة بعد هذا المُصاب؟

الشيخ: «إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أمَّا بعد:

فإنَّ ما ذكره الأخ الكريم في مقدمته الموجزة هذه من فقد العلماء؛ إنه لمصيبةٌ عظيمةٌ، ورَزِيَّةٌ كبيرةٌ تنزل بالمسلمين.

وقد أخبر رسول الله ﷺ أنَّ هذا هو قبض العلم كما جاء ذلك في الحديث الصحيح في البخاري وغيره[1] أنه ﷺ قال: (إنَّ اللهَ لا يقبِض العِلمَ انتزاعاً ينتزعهُ من صدور الناس، ولكنْ يَقبضُ العِلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يَبقَ عالمٌ -وفي لفظٍ: إذا لم يُبقِ عالِماً- اتخَذَ الناسُ رُؤُوساً جهَّالاً، فسُئِلوا، فأَفتَوا بغيرِ علمٍ فَضَلُّوا وأضَلُّوا)، نعوذ بالله من ذلك.

فبيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث هذا الأمر العظيم وهو قبض العلم.

وقبض العلم معناه: انتشار الشر -والعياذ بالله-، وذلك بسبب عموم الجهل وانتشاره وطَيَرانه في الآفاق واتساع رِقعته، وقلة العلماء العاملين الناصحين الموفَّقين الذين يهدون بأمر الله وبه يعدلون، يُوجِّهون عباده، يرشدُونهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، في دنياهم وفي آخرتهم، إلى ما يصلح به معاشهم في حياتهم، وتصلح عليه أمور معادهم في آخرتهم.

فإذا نزلت المُعضلة رفعوها وكشفوها بأمر الله -سبحانه وتعالى-، وإذا ما حلَّت النائبة جَلَّوْها وأبانوا الحكم فيها بتوفيق الله -سبحانه وتعالى-، فهُم مرجع الناس والناس يرجعون إليهم، والقلوب مفطورة ومجبولة على حبهم، حتى قلوب ذوي الفسق والبطالة وأهل الشر والانحراف، إنهم إذا سمعوا بالعلماء أَجَلُّوهم، وأكبروهم، ووقَّروهم، واحترموهم، واعترفوا بتقصيرهم هم في أنفسهم أو انحرافهم.

وذلك من فضل الله -سبحانه وتعالى- على أهل العلم، وهذا لأنه ميراث النبي ﷺ كما جاء ذلك في الحديث الصحيح: (وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا ديناراً ولا دِرْهماً، وإنَّما ورَّثُوا العِلْمَ، فمن أَخَذَه أَخَذَ بحظٍّ وافِرٍ)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (١٠٠)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (٢١٧١٥)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٦٤١)، والترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٢٢٣)، وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

فالآخذون بميراث النبي ﷺ لهم نصيب من التقدير والتبجيل والإجلال والاحترام والتوقير والرفعة والمكانة، وهم يتفاضلون في هذا بحسب خوفهم وخشيتهم وملازمتهم لذكر الله -سبحانه وتعالى- وشكره، وهُم كلهم مشتركون في هذا ولا شك؛ لكنهم يتفاضلون في ذلك ويتفاوتون فيه.

وأَولى الناس بهذا علماء السلف، علماء السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر، أهل التحديث والإخبار عن رسول الله ﷺ، فبهم تُحمى الملة، وبهم يحرص الدين، وبهم تقوم الشريعة، وبهم يظهر الحق والعدل، وبهم يقوم القسط بين الناس، وبهم تتبين الأمور لعباد الله في هذه الأرض، وتنجلي كل النوائب والمدلهمات التي تنزل بهم.

ولا شك أن في فقدهم رِزءٌ عظيم ومصابٌ عظيم على أمة محمد ﷺ؛ فإنَّ موت العالم ثُلْمَة[1] في الإسلام لا تُسَدُّ[2]، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يهيئ لهذه الأمة من أمرها رشدًا.

وهذه الأمة أمة مرحومة ولا تزال بخير.

ولنا في قول النبي ﷺ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولَا مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يأتيَ أمرُ الله)[3] أو (حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)[4] كما في اللفظ الآخر، لنا

---

(١) قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٢/ ٧٩): «الثُّلْمة: الخَلَل فِي الْحَائِطِ وَغَيْرِهِ».

(٢) جاء في «الزهد» للإمام أحمد برقم (١٤٩٢)، وفي «سنن الدارمي» برقم (٣٣٣) عن الحسن أنه قال: «كانوا يقولون: موت العالم ثُلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار»، وجاء في «جامع بيان العلم وفضله-مؤسسة الريان» (١/ ٣٠١) لابن عبد البر أنه من قول الحسن.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٩٢٠).

(٤) أخرج البخاري في «صحيحه» برقم (٧٣١٢): «ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله»، وأخرج مسلم في «صحيحه» برقم (١٨٢٢): «لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة».

في هذا أعظم تسلية، وفي الله -سبحانه وتعالى- خَلَفٌ من كل مُصيبة، وفيه -سبحانه وتعالى- عزاء من كل مُصاب ينزل بأمة ﷺ، فإنَّ الله مُعلٍ كلمته، وناصرٌ دينه، ومُظهرٌ شريعة نبيه ﷺ.

فنسأل الله -جَلَّ وعز- أن يُهيئ لهذا الذين من يقوم به، ولا يزال كما جاء ذلك في الحديث الصحيح عنه ﷺ: (لا يَزَالُ اللهُ -سبحانه وتعالى- يَغْرِسُ فِي هذَا الدِّينِ غَرْساً يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ)[1].

فنسأل الله -جَلَّ وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يستعملنا وإياكم في طاعته، وأن يجعلنا من هذا الغرس المبارك.

ولا شك أنَّ خَلَفَ هؤلاء العلماء لا يكون إلا بالسير على منوالهم، واقتفاء آثارهم، وسلوك الطريق الذي سلكوه، والتشمير عن ساعد الجِدِّ كما شمروا، عسى أن نقارب، وعسى أن نكون قريبين مما وصلوا إليه.

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكونُوا مِثْلَهُم ... إنَّ التَّشَبُّهَ بِالكِرَامِ فَلاحُ

ويقول شيخ شيوخنا [2]-رحمه الله تعالى-:

فإنْ أرَدْتَ رُقِيًّا نَحوَ رُتْبَتِهِم ... ورُمْتَ مَجْدًا رفِيعًا مِثْلَ مَجْدِهِم

فاعْمَدْ إلَى سُلَّمِ التقوَى الذِي ... واصْعَدْ بِعَزْمٍ وَجُدَّ مِثْلَ جِدِّهِم

هذا هو الواجب، ويقول -عليه الصلاة والسلام-: (مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خيْراً يُفَقِهْهُ في الدينِ)[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٦ - الإحسان)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٤٤٢).

(٢) الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- في «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٧١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٠٣٧).

هذا الحديث الصحيح حَصَر الخير ﷺ كله في الفقه في الدين فيه؛ فإنَّ الفقه في الذين هو جماع الأمر كله؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- أوصى عباده جميعًا بالتقوى في قوله: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧] في غير ما آية.

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴿١٣١﴾﴾ [النساء:١٣١].

والتقوى هي خوف الله -سبحانه وتعالى- ومراقبته، وجعل بين عذابه وبينك أيها العامل وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

وإذا كانت هذه هي التقوى أو على التعريف الآخر: «أن تعبد الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وتخشى عقابه -سبحانه وتعالى-»، إذا كانت هذه هي التقوى المأمور بها، فلا يمكن أن يكون العمل إلا على سلطانٍ وبينةٍ وحجةٍ وبرهانٍ من قول الله وقول رسوله ﷺ.

وهذا هو العلم؛ فلا يمكن أن يتحقق المرء في هذا الباب أو يُحقِّق هذا الباب تحقيقًا كما أراد الله -جَلَّ وعز- منه وكما أمره به رسوله ﷺ، لا يمكن أن يكون إلا بأن يعرف الحرام فيجتنبه، والحلال فيأتيه، وهذا لا يتأتَّى إلا بمعرفة الحرام ومعرفة الحلال من أدلتهما التفصيلية.

وهذا ما يكون إلا بالعلم وبطلبه والتبصُّر فيه، والتفقه في دين الله -جل وعلا-، ولذلك كان العلماء هم أكثر الناس خشية كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

والمعنى: إنما يخشى الله الخشية الحقيقية على وجهها الصحيح من عباده جميعًا العلماء، وإلا فعباد الله يخشونه -ولا شك-، منهم من يخشاه خشية المضطر الخائف، وهذا غالبًا عند الكفار، ومنهم من يخشاه خشية العبد الطائع الوَجِل منه -سبحانه وتعالى-، وهذه صفة عباد الله المؤمنين

الموحدين، وأعلى هؤلاء المؤمنين الموحدين أهل العلم كما وصفهم الله -سبحانه-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، ولأنهم كانوا أعرف الخلق بالله -سبحانه وتعالى- بعد الرسول ﷺ، فلذلك كانوا أخوف الناس من الله -سبحانه وتعالى-بعد الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-.

نسأل الله -جَلَّ وعز- أن يوفقنا جميعًا للفقه في دينه، والاحتفال به، والاعتزاز به، والعمل في سبيل تحصيله، والكشف عن ساعد الجِدِّ والمثابرة، حتى نحصل منه على ما ينفعنا في الدنيا والآخرة، كما نسأله -سبحانه وتعالى-أن يبارك في أعمارنا وأعمالنا، وأن يوفقنا وإخواننا جميعًا لسبيل هذا الطريق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد».

السؤال الثاني: جزاكم الله خيرًا، صاحب الفضيلة: إنَّ الدعوة السلفية بأرض الجزائر دعوة فَتِيَّة مباركة -إن شاء الله- يتكالب عليها الأعداء من الحزبيين بشتى مناهلهم، ومن تكالبهم دعوى أنَّ العلماء لا يفقهون واقع الأمم فلا يجوز لهم أن يفتوا في قضاياهم، فما هو جوابكم على هذه الشَّنْشَنة -بارك الله فيكم-؟

الشيخ: «الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين.

فأما ما ذكرتم من تكالب أهل الأهواء على ما كان عليه السلف الصالح من منهج وعلى أهله؛ هذا ليس بغريب وليس بِبِدْع؛ فكما أنَّ الكفار تكالبوا على رسول الله ﷺ، وأَمَره ربه -سبحانه وتعالى- أن يقول لهم: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩].

فكذلك الوارثون للسلف الصالح -رضي الله تعالى عنهم- ما كانوا بِدْعًا في هذا الباب، في باب الابتلاء وتكالب أهل البدع والأهواء عليهم.

فإنَّ النبي ﷺ قد أخبر عن الطائفة الناجية، الفرقة المنصورة، أنهم فرقة واحدة بين ثلاث وسبعين فرقة؛ فوصفهم -عليه الصلاة والسلام- بأنهم هم الذين يكونون على ما كان عليه هو وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- عليه الصلاة والسلام(١).

وما دام الأمر كذلك فرقة واحدة بين ثنتين وسبعين فرقة؛ فإنَّ الأمر يبين مدى الخطورة في هذا الجانب، في جانب تكاثر الأعداء؛ ولكن ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة:١٣٧] قال الله -سبحانه وتعالى- لرسوله.

وهكذا وُرّاثه -عليه الصلاة والسلام- سيكفيهم الله -سبحانه وتعالى- شر كل من تكالب عليهم وهو السميع العليم، السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم -سبحانه وتعالى-، يراهم ويكتب ما يُبيِّتون -سبحانه وتعالى-، فلا يعجزه أمرهم.

الحاصل، هذه الطائفة وإن كانت واحدة في مقابل اثنتين وسبعين فرقة إلا أنَّ النبي ﷺ قد وصفها بأنها الناجية المنصورة، وما دام هذا الوصف من رسول الله ﷺ لها، فالواجب أن نعرف أولًا مَن هم أصحاب هذا الوصف؟

فإذا عرفناهم فالواجب علينا جميعًا ثانيًا: أن ننضوي تحت لوائهم، وأن نلتف حولهم، ولا يضرنا بعد ذلك، فإنَّ النصر لأهل السنة والجماعة السائرين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، وإن تكالبت عليهم الفِرَق من أهل الأهواء والبدع وتكاثرت فإنَّ الحجة معهم، وهم ظاهرون بأمر الله ﷺ.

---

(١) أخرج الترمذي في «جامعه» برقم (٢٦٤١): «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» تحت رقم (٢٠٤)، وقد ذكر هناك -رحمه الله- طرق هذا الحديث وألفاظه.

ومن سبق له النصر من الله فلا غالب له، ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ ١٦٠﴾ [آل عمران:١٦٠].

ويقول -سبحانه-: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٥ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ١٧٦﴾ [الصافات:١٧١-١٧٦].

فالحاصل:

الواجب على المرء أن يسلك باب الدعوة إلى الله، ويسير في طريقه على علمٍ من الله، ونورٍ من الله، وفقهٍ في دين الله، واتِّباعٍ لما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فيما أخذوه عن نبينا -عليه الصلاة والسلام-.

وعليه الصبر والاحتساب، لأنَّ هذا من الابتلاء، ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ فقط الرسول؟ لا، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ [البقرة:٢١٤].

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت:١-٣].

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ ٣٧﴾ [الأنفال:٣٧] -سبحانه وتعالى-.

فالواجب الصبر والاحتساب وبيان الحق واحتساب الأجر عند الله -جَلَّ وعلا-، والله -سبحانه- إذا رأى من عبده ذلك، إذا رأى منه الصدق والإخلاص والمتابعة، ورأى الاحتساب والصبر وحرصه على الأجر في هداية الناس؛ فإنه يُوشك أن يرفع عنه، لأنه إنما أراد بذلك ابتلاءه زيادةً لحسناته، وتكفيرًا لسيئاته، ورفعةً لدرجاته، وبيانًا لمكانته في الدنيا والآخرة.

فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والفقه في الدين، والبصيرة فيه، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، فإنَّ هذا هو طريق الأنبياء والرسل.

ولا شيء أشد على المخالفين من أهل الأهواء والبدع من تفنيد شبههم بالعلم الشرعي والحجج الأثرية التي فيها: قال الله، قال رسول الله ﷺ، قال أبوبكر، وقال عمر، وقال عثمان، وقال ابن مسعود، وقالت عائشة، وقال أبو هريرة، وقال عمار، وقال فلان، وقال فلان إلى أن ترتفع درجةً، قال الحسن، قال ابن سيرين، قال عَبيدة، قال شُريح، قال أحمد بن حنبل، قال الشافعي، قال مالك، قال أبو حنيفة وهكذا؛ فإنَّ هذا أشد ما يكون عليهم.

فإنَّ أهل العلم بالسنة النبوية هم كالشُّهب يرجمون أهل البدع المُحْدَثة التي يُحدثها أصحابها، وأهل السنة دائمًا وأبدًا هم كالرجوم، يرجمون هؤلاء المبتدعة، كما قال شيخ شيوخنا -رحمه الله- العلامة الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- قال عن أهل السنة والحديث والأثر(١):

هـمُ الرُّجُومُ بِحَقٍّ كُـلَّ مُسْـتَرِقٍ ... سَمْعًا كَشُهْبِ السَّمَا أعْظِمْ بِشُهْبِهِمِ

لأنَّهَـا لِكِلا الجِنْسَـيْنِ صـائِبَـةٌ ... شـيطانِ إنْسٍ وجِنٍّ دونَ بَعْضِـهِم

فالنجوم أمنةٌ للسماء، والعلماء أهل السنة والجماعة أمنةٌ للأرض، فإن كانت النجوم حفظًا للسماء من كل شيطان مارد يسترق السمع، فيُتبع بالشهاب الثاقب كما قال الله -سبحانه وتعالى- في سورة الصافات: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾ [الصافات:١-١٠]، فيُحرقه.

---

(١) في منظومته: «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية».

فهكذا ما كانت السماء محروسة بالنجوم فهكذا ملة محمد ﷺ محروسة بفضل الله -جَلَّ وعز- ورحمته أولًا، ثم بتيسيره لأهل العلم القائمين بحفظها ثانيًا، وهم أهل السنة والجماعة، نَقَلة الأخبار، حملة الآثار، المبلغين عن رسول الله ﷺ وعن خلفائه الأبرار وصحابته الأخيار.

فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يرزقنا حبهم، والسير على منوالهم، والاقتداء بهم -رضوان الله تعالى عليهم-، فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- قد ضمن النصر لمن كان على درب هؤلاء سائر ولهديهم مُتَّبع -صلوات الله وسلامه عليه- ورضي الله عن أصحابه أجمعين.

فالذي أوصي به نفسي وإخواني ممن كان على طريقة السلف أينما كانوا وأين كانوا في أي عصر وفي أي مصر؛ أوصيهم بالصدق مع الله أولًا، والإخلاص له -سبحانه وتعالى-.

- ثم أوصيهم أيضًا بالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- على علم ثانيًا.

-ثم بالصبر والاحتساب على ما يلحقهم من الأذى في هذا السبيل.

فإذا هم حققوا ذلك فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- ناصرهم كما قال -جَلَّ وعز-: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣]، آمنوا في أنفسهم وعملوا بإيمانهم الذي آمنوا به، ثم بعد ذلك أحبوا أن يَشرَكهم غيرهم ممن يحبونهم من إخوانهم المسلمين، فدعوهم إلى هذا الخير الذي آمنوا به، فإذا دَعَوا هؤلاء المَدْعُوِّين فإنَّ الناس سينقسمون حيالهم إلى فريقين، مصدق ومكذب؛ مصدِّق ناصر، ومكذب مداحض أو منابذ، فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- قد مضت سنته بهذا الكونية القدرية، ليميز الطيب من الخبيث، ويعرف هذا من هذا، وهو العارف به في الأزل؛ ولكن ليُرِيَ الناس ذلك، وإذا رأى منهم -سبحانه وتعالى- ذلك؛ فإنه ناصرهم كما قال -جَلَّ وعلا-: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ فلا خسارة عليهم، ولا غبن لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، نسأل الله -جَلَّ وَعَلاَ- أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء».

السـائل: جزاكم الله خيرًا، شـيخنا بارك الله فيكم، إنَّ الرد على أهل الأهواء والمخالفين باب شريف من أبواب الجهاد في سـبيل لله؛ فما هي شروط الرد على المخالف، أي هل كل من زلَّت قدمه حُذِّر ورُدَّ عليه، أم أنَّ في المسألة تفصيلٌ يُذكر -بارك الله فيكم-؟

الشـيخ: «الحمد لله، لا شـك أنَّ الخلاف واقع في هذه الأمة، وحينما يتحدث المرء عن الخلاف ويُنَزِّل بعض الأحكام في غير موضعها يكون بسبب ذلك اللبس.

فالخلاف على قسمين: منه ما هو سائغ، ومنه ما هو غير سائغ.

-فأما السـائغ: فهو في المسـائل الفرعية الاجتهادية التي ليس فيها نصٌ، أو فيها نصٌ غير صريح يحتمل هذا وهذا، فهذا موطن الاختلاف بين أهل العلم، إمَّا أنه لا يوجد فيها نص، وإمَّا أنه يوجد فيها نص؛ لكنه غير صريح قاطع في المسألة، فهذا الأمر فيه سهل، والخَطْب فيه يسير، وهذا الذي يجب أن تتسـع فيه الصـدور، وأن يعذر بعضـنا البعض، ومن هنا جاء خلاف أهل العلم في المسائل في الفقه في الدين.

-وأما الخلاف الذي يُثار الآن الكلام فيه وهو واقع حقيقة؛ فالمراد به الخلاف العقدي المنهجي، مخالفة طريق أهل السـنة والجماعة، وهذا تنزيل الخلاف أوحكم الخلاف الأول أو النوع الأول الذي ذكرناه، تنزيل الحكم الذي فيه عليه، على هذا الثاني، هذا من المغالطات، أومن الجهل، إمَّا أن يكون جهلًا، وإمَّا يكون من المغالطات ممن لهم مقاصـد ومآرب ليخفوا بها عيوبهم؛ ولكن هذا لن يتأتَّى.

فإنَّ سلوك طريق الرسول ﷺ واجب على كل مؤمن يخاف الله -سبحانه- ويتقيه ويؤمن بهذا النبي ﷺ ويُواليه.

فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء:١١٥].

وقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣].

فنعود في هذا إلى التقوى التي ذكرناها أولًا؛ فمن أراد أن يتقيَ الله وينجو من عذابه؛ فإنَّ الواجب عليه أن يسلك الصراط المستقيم الذي وصفه الله -سبحانه-.

وهذا الصراط المستقيم على جَنبَتَيه أبواب وعليها ستور مُرخاة، وعلى رأسه داعٍ؛ فهذه الأبواب أبواب ضلال وهلاك وشر، والستور المرخاة عليها هي محارم الله، والدعاة عليها هم شياطين على كل باب منها يدعو كما قال ذلك النبي ﷺ: (مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا طَرَحُوهُ فِي النَّارِ)(١) نسأل الله العافية والسلامة.

والداعي على رأس الصراط كتاب الله -سبحانه وتعالى-، والمُنادي كلما أراد عبد أن يكشف بابًا من هذه الأبواب هو واعظ الله في قلب كل عبد مؤمن من عباد الله -سبحانه-، كلما همّ قال: يا عبد الله لا تدخل، لا تفتحه، فإنك إن تدخله تلجه، ولا تخرج منه أبدًا، فهذه الأبواب المُفتَّحة والطرق المُشْرَعة والسبل المتعددة كلها سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه.

وأما الصراط فهو واحد، صراط الله المستقيم -سبحانه وتعالى- كما قال الله -سبحانه- لرسوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٦٠٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم (١٨٤٧).

فالنبي ﷺ يهدي إلى هذا الصراط المستقيم الواضح الذي بيَّنه حينما رسم خطًّا مستقيمًا فقال: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)(١).

هذا هو الصراط المستقيم، دين الله الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ وهو الذي عبَّر عنه بقوله: (تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ)(٢).

«وما ترك رسول الله ﷺ» -كما جاء في حديث أبي ذرٍ- «طائرًا يُقلِّب جناحيه في السماء إلا وأعطانا منه علمًا، علِمه من علِمه، وجهله من جهله»(٣).

فالحاصل؛ هذه السُّبُل يُنظر فيها التي يدَّعي أصحابها أنها على طريق مستقيم، وأنهم على السبيل الأقوم، ينظر فيها هل هي وأصحابها على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه -رضي الله عنهم- في العقيدة والشريعة والمنهاج؟

فإن وجد أنهم كذلك فالحمد لله، وإلا فالعبرة بالحقائق لا بالدعاوى، فإنَّ الدعاوى إذا لم تقم عليها البينات أصحابها أدعياء كما قال ذلك الشاعر.

فالعبرة ليست بالأسماء؛ وإنما العبرة بالحقائق.

---

(١) أخرج أحمد في «مسنده» برقم (١٧٦٣٤)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (١٩١): (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٧١٤٢)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٤٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٩٣٧).

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم (٦٥)، والبزار في «مسنده» برقم (٣٨٩٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٦٤٧)، ولفظه: (تركنا رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكرنا منه علمًا).

فهل هؤلاء الذين يخالفون أهل السنة ويزعمون هذا الزعم الناس لا يعرفونهم إذا عرضوا ما هم عليه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟

لا شك أنهم سيُكشفون، والعبرة كما قلت بالحقائق؛ فإنَّ الكلام في توحيد الله -سبحانه وتعالى-، في ربوبيته هذا لا خلاف فيه، يُقِرُّ به معنا حتى الكفار؛ ولكن العمل على التوحيد في الإلهية، لا يُذبح إلا لله، ولا يُدعى إلا الله، ولا يُرجى إلا الله، ولا يُخاف إلا من الله، ولا يُنذر إلا لله، ولا يُتوكل إلا على الله، ولا يُخاف إلا الله -سبحانه وتعالى-، ولا يُدعى لكشف الضر إلا هو-سبحانه وتعالى-، ولا يُرجى في المُلمات والشدائد إلا هو -سبحانه وتعالى-، ولا يُحلف إلا به -سبحانه وتعالى-، ولا يُصلَّى إلا له -سبحانه وتعالى-، ويُسجد له -سبحانه وتعالى-، ولا يُطاف إلا ببيته -سبحانه وتعالى-، وهكذا.

وكذا توحيد الأسماء والصفات وهو أنَّ من كانت هذه حالنا معه وهو خالقنا ورازقنا، وهو المستحق -سبحانه وتعالى- للعبادة، وعرفناه بأسمائه -سبحانه وتعالى- بأنه الرازق، وأنه الخالق، وأنه الباري، وأنه المصور، وأنه الرحمن، وأنه الرحيم، وأنه السميع، وأنه البصير، عرفنا هذا كله، فلابد من إثبات ذلك له، وهذا المسمّى أيضًا بتوحيد المعرفة والإثبات.

فإذا كان هذا العبد يؤمن بأنَّ الله -سبحانه وتعالى- سميع؛ فإنه يثبت له -سبحانه وتعالى- صفة السمع كما يليق بجلاله وعظمته، وإذا كان يؤمن بأن الله بصير وهو السميع البصير فإنه يثبت له -سبحانه وتعالى- بصره يليق بجلاله وعظمته لا يشابهه فيه بصر المخلوقين، وإذا كان يؤمن بأنه رحيم يثبت له -سبحانه وتعالى- رحمةً لا تشابه رحمة المخلوقين، كذلك بقية الصفات؛ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، يثبت أن له -سبحانه وتعالى- ما وصف به نفسه من صفتي اليدين -سبحانه وتعالى- ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، ولعن الله -سبحانه وتعالى- بسبب ذلك اليهود فإنهم قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

وعجبًا لمن يدَّعي أنه مُتَّبع للنبي ﷺ واليهود أفقه في بعض الصفات لله -سبحانه وتعالى- منه، فإنَّ يهود أثبتت لله يداً؛ ولكن وصفتها بالبخل، وهؤلاء شرٌ من اليهود في هذه الناحية، فهم معطلة شر من اليهود، فيهود قالت: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ [المائدة:٦٤]، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤]، ولعنهم الله -سبحانه وتعالى- بسبب مقالتهم ذلك ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، فأثبتوا له اليد، فكيف يأتي مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤمن برسوله ﷺ وينكر أنَّ له يداً؟! إذن يهود في مسألة اليد أهدى منه سبيلاً، وإن كانت أضل في باب وصفها بالبخل فهي أثبتت لله يدًا؛ وهكذا بقية الصفات، كل ما جاء في الوحيين من كتاب الله -سبحانه وتعالى- وسنة رسوله ﷺ من الصفات فإننا نثبتها لله -جَلَّ وعلا- على الوجه اللائق به -سبحانه وتعالى- على الوجه المطلوب.

ثم بعد ذلك الإيمان بأركان الإيمان الستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره؛ فإذا نظر العبد المؤمن إلى هذه الجوانب أركان الإيمان الستة مع التوحيد وقبل ذلك أيضاً بقية الأركان الخمسة بعد التوحيد: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج؛ فإذا نظر العبد إلى ذلك وعرض أقوال هؤلاء المخالفين عليه؛ فإنه سيتبين له صدقهم من كذبهم.

فدين الله -ولله الحمد- واضح مسطور محفوظ مُبيَّن، يعرفه كل من قرأ ونظر بصدق وإخلاص وتجرد، وحينئذٍ يُقاس هؤلاء المُدَّعُون بقدر ما هم عليه، ويُقوَّمون بقدر ما هم عليه من الحقائق في أعمالهم، ويتبين حينئذٍ صدقهم من كذبهم، وأما مجرد الدعوة أو مجرد النسبة فهذه لا تنفع صاحبها شيئًا إذا كان مخالفاً لما كان عليه رسوله ﷺ وأصحابه».

السائل: جزاكم الله خيرًا، صاحب الفضيلة، جاء في مقدمة صحيح مسلم أثر عن عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (إنَّا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسوله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا؛ فلمَّا رَكِبَ الناس الصعب والذَّلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف)، هل هذا الكلام من حبر الأمة -رضي الله عنه- ينطبق على وُعَّاظ هذا الزمان مثل مواعظ أبي إسحاق الحويني التي ابتُلي بها الشباب عندنا في الجزائر؟

الشيخ: «الحمد لله، هذا الحديث، حديث ابن عباس أو أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- هذا مع بشير العدوي في قصته مع بشير العدوي، وذلك حينما حدَّثه وكان يتشاغل -رضي الله عنهما- عن حديثه فقال له: (عجبًا يا ابن عباس أُحَدِّثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع لي؟) أو كلمة نحوها[1]؛ فقال عبد الله بن عباس هذا الأثر.

وذلك أنَّ الناس إذا نزلت بهم الفتن، وحلَّت النوازل، واختلطت فيها الأمور؛ فإنَّ الأخذ والسماع إنما يكون عن الموثوقين في العلم والدين؛ لأنهم يُقتدى بفعالهم، ويُؤخذ بأقوالهم، وهذا بابٌ معروف عند أئمة الدين، باب تجنب الرواية عن أهل الأهواء والبدع وتحمل العلم عنهم معروف، فإنه قد تكاثر حتى تواتر عنهم قولهم: (إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم)[2].

ولقد ذكر طرفًا من هذا الإمام مسلم في مقدمة «صحيحه» التي نقلتَ منها هذا الخبر.

---

(١) ساق مسلم في «مقدمة صحيحه» هذا الأثر وفيه أنه: (جَاءَ بُشَيْرٌ الْعَدَوِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَا يَأْذَنُ لِحَدِيثِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَالِي لَا أَرَاكَ تَسْمَعُ لِحَدِيثِي، أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تَسْمَعُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "إِنَّا كُنَّا مَرَّةً إِذَا سَمِعْنَا رَجُلًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ابْتَدَرَتْهُ أَبْصَارُنَا، وَأَصْغَيْنَا إِلَيْهِ بِآذَانِنَا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، وَالذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا نَعْرِفُ ").

(٢) وللفائدة انظر: مقدمة كتاب «المجروحين» (١/ ٢١-٢٣) لابن حبان، حيث ذكر هذا الأثر عن بعض الصحابة والتابعين.

ولا شك أنه في زمن انتشار البدع والأهواء وتشعُّب الآراء واختلاف الطرق في المسلمين؛ فإنَّ المرء يجب عليه ألا يأخذ إلا عن أهل السنة والجماعة المعروفين بذلك المشهود لهم بذلك، المقتفين لآثار رسوله ﷺ، الصادقين في قولهم وفعالهم؛ لأنهم مأمونون، وهم أمناء على حمل الشريعة، وهم أهل الحديث والخبر، ونقلة الآثار عن رسوله ﷺ، هم المأمونون في هذا؛ لأنهم يخافون الله -سبحانه وتعالى- ويتَّقونه، وبهم حَفظ الله الملة والشريعة وأقام الصراط لهذه الأمة كما تركها عليه رسوله ﷺ.

فأين أمثال الحسن، وابن سيرين، وأيوب السِخْتياني، والحمَّادين، والسفيانين، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والإمام أبا داود، وغيرهم من بقية أصحاب الكتب الستة ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وابن أبي حاتم، ووالده أبو حاتم، وأبو زُرعة الدمشقي، وغيرهم، وغيرهم كثير، حدِّث عنهم ولا حرج.

وأيضًا في المشرق من أمثال الإمام الذي جمع الله فيه جميع خصال الخير عبد الله بن المبارك -رضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم-، فإنَّ أمثال هؤلاء كانوا في أزمانهم القدوة، وبهم الأسوة، وبهم عصم الله -سبحانه وتعالى- الأمم، كلٌّ منها في منطقتها أوفي جهتها أو في قطرها أو عصرها، من الفتن ومن الأهواء التي ظهرت في أعصارهم وأمصارهم حتى أسلم الله -سبحانه وتعالى- الدين إلى من جاء بعدهم، وسلَّمه أيضاً من عبث العابثين ولعب اللاعبين، وهذا هو الوعد الذي قطعه الله -سبحانه وتعالى- على نفسه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩].

والذِّكْرُ ذِكْران: ذِكرٌ متلو؛ وهو كتاب الله العظيم وكلامه المنزَّل القرآن الكريم.

وذِكرٌ غير متلو؛ وهو بيان هذا الكتاب المنزَّل، وهو السنة النبوية المطهرة، فهي:

وَحْيٌ مِنَ اللهِ كـالقُرْآنِ شـاهِـدُهُ ... في سـورةِ النَّجْمِ فاحْفَظْه ولا تَهِمِ

كما قال ذلك شيخ شيوخنا الشيخ حافظ -رحمه الله تعالى- في «مِيمِيَّته» في وصاياه لطالب العلم في الآداب التي يجب أن يتحلى بها في قوله:

وَحْيٌ مِنَ اللهِ كـالقُرْآنِ شـــاهِـدُهُ في ســورةِ النَّجْمِ فاحْفَظْه ولا تَهِمِ

يعني قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم:٣-٦].

فهذه السُّنَّة وحي يوحى، فهي وحيٌ من الله كالقرآن، وقولنا كالقرآن هذا قول النبي ﷺ: (أَلا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ)[1] يعني السنة النبوية؛ فحَفِظَ الله القرآن بحفظه له -سبحانه وتعالى-، وحفظ الله -سبحانه وتعالى- السنة النبوية المطهرة بتهيئة هؤلاء الجهابذة الأعلام، فحفظوها حتى بلغوها إلينا.

وإذا كان هذا حال الأسلاف -رضي الله عنهم-، (إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم) في زمن الفتنة التي حصلت في زمن الخوارج، حدوث الفتنة في عهد عثمان، ثم خروج الخوارج وتشَيُّع الشيعة، إذا كان هذا قولهم مع قربهم من عهد النبي ﷺ وتوافر كثيرٍ من الصحابة، فما بالنا نحن في هذه الأعصار المتأخرة؟ وما عسى أن نقول نحن؟

إننا يجب علينا مرات ومرات أن نقول بمقالهم هذا، وأن نحترز لأنفســنا؛ فلا نأخذ هذا العلم إلا عمَّن عرفنا صدقه وأمانته وديانته واستقامته وإخلاصه واتِّباعه لرسول لله ﷺ بحقٍ وصدقٍ وعدلٍ لا بالدعاوى والجعجعة التي لا دليل ولا برهان عليها.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في «مسنده» برقم (١٧١٧٤)، وأبو داود في «سننه» برقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في «المشكاة» برقم (١٦٣).

وأما ما ذكرتم عن أبي إسحاق[1] فأنا لا أعرفه، ولم أسمع له شيئًا[2]، وما رأيته في حياتي إلا مرة واحدة دقائق معدودة، وما تحدَّثت أيضاً معه فيها.

وإنما دخلت ذات مرة على صاحب الفضيلة الشيخ العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله- في حج عام أربع مئة وأربعةعشر تقريبًا[3]؛ بل -إن شاء الله- أنه حج أربع مئة وأربعةعشر؛ لأنني ما حججت بعد ذلك التاريخ، فأذكر أني رأيته في الخيمة مع أحد الحاضرين، إن لم أكون واهمًا أظنه الشيخ عبد الله العبيلان كان معه، فرأيته لحظات فقط ثم انصرف، ولا أعرف مَن هذا، ثم أُخبرت أنَّ الذي كان جالسًا هو فلان، فأنا لم أعرفه أو لا أعرفه، ولم أسمع له شيئًا، وأنتم باستطاعتكم أن تعرضوا ما يقول على كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وعلى ما كان عليه الأسلاف أو تسألوا عنه من يعرفه».

السائل: جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم شيخنا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله- في «المجموع»[4] كلاماً قال: (وهذه حقيقة قول من قال من السلف والأئمة: إنَّ الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يُصلَّى خلفهم، ولا يؤخذ عنهم العلم، ولا يناكحون؛ فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا، ولهذا يُفرِّقون بين الداعية وغيره الداعية، لأنَّ الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة).

---

(١) أي: الحويني.

(٢) ثم تبين للشيخ حاله وحذَّر منه، فقد سُئل الشيخ -حفظه الله-: (وهذا سؤال آخر يقول: ما قولكم في الشيخ أبي إسحاق الحويني؟ وهل تنصحون بسماع أشرطته ودروسه؟ أقول: لا، لا يُنصح بسماع أشرطته، ولا بدروسه) انتهى، وهذا التسجيل منشور عبر الشبكة.

(٣) أي: عام ١٤١٤ من الهجرة.

(٤) (٢٨/ ٢٠٥).

شيخ -بارك الله فيك-: هل كلام شيخ الإسلام هذا يُنزَّل على كتب وأشرطة القرضاوي ومحمد قطب وسلمان العودة وسفر الحوالي، أم أنَّ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها؟

الشيخ: «الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، هذا الكلام من شيخ الإسلام -رحمه الله- يريد به رؤوس الدعاة إلى البدع من أهل الفِرَق من جهمية ومعتزلة ونحوهم وخوارج ورافضة ونحوهم، فإنَّ هؤلاء الرؤوس الدعاة دائمًا يُشيعون بين الناس المنكرات في العقائد ويحرفونهم عن سبيل الله القويم؛ فأمثال هؤلاء يعاقبون بمثل هذه العقوبات، فلا يُستمع لهم، ولا يُقرأ لهم، ولا يُقاض بتوقيرهم ولا تبجيلهم، ولا أخذ العلم عنهم، إلى غير ذلك عقوبة لهم، وإخمادًا لِذِكْرهم، وبيانًا للناس عن عظيم خطرهم الذي هم عليه من انحرافهم عن السبيل القويم وتسببهم في انحراف غيرهم، فهذا في هؤلاء رؤوس الضلال.

وأمَّا ما يتعلق بالذين ذكرتَ من محمد قطب، والقرضاوي، وسلمان العودة، وسفر الحوالي؛ فالذي يظهر لي أنهم لم يبلغوا إلى هذه الدرجة التي لا تُجيز الصلاة خلفهم، ولا تقبل شهادتهم، لا يظهر لي هذا؛ لأنَّ هذا في رؤوس البدع الضُّلال، فإنَّ الحق أحق أن يُتبع، وأمَّا أنَّ عندهم في أشرطتهم وكتاباتهم ومقالاتهم زيغ وانحراف عن المنهج القويم فنعم، نعم.

القرضاوي له من الطامات الشيء الكثير الذي لا يُعد ولا يُحصى؛ ولكن لا يصل ذلك إلى أننا لا نصلِّي خلفه ونُنزله منزلة هؤلاء الذين ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-، اللهم إلا على شخص له تأثير فيه، يريد أن يرتدع القرضاوي ومثله فلا يصلِّي خلفه حتى يؤثر هذا فيه فلا يستمر في مثل المغالطات التي هو عليها، والمجازفات والانحرافات التي نسمعها له غريبة عجيبة نسمعها منه، هذا باب آخر؛ أما مسألة صحة الصلاة فلا أرى أو لا أعتقد أنَّ كلام شيخ الإسلام يتنزَّل على هؤلاء.

ومحمد قطب كذلك هو إخواني، ومن ذكرت من هؤلاء كذلك لهم مغالطات في أشرطتهم ونصر لما عليه بعض المناهج المنحرفة ودعوة إليها، وتقليل من شأن أهل السنة ومنهجهم؛ ولكن لا يصلون إلى هذه الدرجة، وإن كنت أنا أحذِّر من أشرطتهم، وأرى أن الذي لا يعرف ما عندهم، ربما اندس عليه السم في العسل، فوقع من حيث لا يعلم.

وأما قول القائل: (الحق ضالة المؤمن أنَّى وجده أخذه) هذا حق وصحيح، والمؤمن أولى بالحق؛ لكن من يقوم بذلك؟ إنَّ هذا القول إنما يكون للذي يعرف الحق إذا التبس بباطل، أما الذي لا يعرفه فالواجب عليه الحذر جملة؛ لأنَّ الشر في أشرطة هؤلاء وكتاباتهم مقطوع به؛ وذلك هو الانحراف، نعني به الانحراف عن المنهج السلفي، والخير مظنون به؛ وهو الدعوة لاتِّباع منهج السلف وما كان عليه سلف الأمة من الطائفة الناجية المنصورة أهل الحديث والأثر، وجود الحق في أشرطة هؤلاء وكتبهم لا يخلو في أغلب الأحيان من لبسه بباطلٍ، وهذا لا يتأتَّى تميزه لكل أحد، وإنما يعرفه العارفون البصراء بمواقف هؤلاء، ومناهج هؤلاء، وأساليب هؤلاء، وكلام هؤلاء، وطرائق تأليف هؤلاء، والدعوات التي يدعو إليها هؤلاء.

فالذين يعرفون هذا عنهم هم الذين يميزون الحق مما التبس به أو مما لبسوه به من الباطل، فهذا الذي يقال له، أمَّا عامة الناس وعامة أهل السنة والمبتدئين الصغار من طلبة العلم فأنا لا أنصحهم بسماع أشرطة هؤلاء؛ لأنَّ الشر فيها متحقق، والخير أو الصواب فيها ظنيٌّ، وربما التبس عليه الحق أو الصواب بالخطأ وبالباطل الذي لَبَسه هؤلاء به في أشرطتهم.

وعليه فلا أنصح هؤلاء بأن يستمعوا لمثل يوسف القرضاوي، ولا لمحمد قطب، ولا لسفر ولا لغيرهم.

وإنما يستمعون لأهل العلم الذين يأمنون جانبهم، كأشرطة الشيخ الإمام شيخ الإسلام والمسلمين في هذا العصر الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-، وكذا الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله تعالى-، هذا عندنا في المملكة العربية السعودية، فتاوى أيضاً الشيخ ناصر[1] كذلك، والشيخ أيضاً صالح الفوزان، ومفتي عام المملكة[2] في البلاد هنا كذلك، كذلك الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، وكذا الشيخ عبد المحسن العباد؛ فهؤلاء أهل العلم الموثوقين الذين إذا سُئلوا في أحكام الدين والشرع بينوا لك الحق، وبينوا لك الباطل، وبينوا لك السنة من البدعة، وهؤلاء هم الذين يُورد عن أقوالهم ويُصدر، ويأخذ المرء وهو مطمئن.

أمَّا الذين ذكرت أسماءهم فإنَّ المرء يخشى على من يستمع لأشرطتهم أن ينحرف بسببها، وقد انحرف بسببها عندنا في المملكة وفي غيرها كثيرٌ من الشباب أو من العامة الذين لا علم لهم، فوقعوا من حيث يظنون أنهم أصابوا، فهذا الذي أنصح به».

السائل: جزاكم الله خيرًا، صاحب الفضيلة، تعلم أنه لا سبيل لرجوع الأمة إلى مجدها إلا إذا امتثلت إلى قول ربها: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣]، شيخنا وذاك لا يتأتَّى إلا بالعلم النافع؛ ولكن في أرض مثل أرض الجزائر التي يندر فيها كبار العلماء، فما السبيل لطلبة العلم والشباب في أخذ العلم؟ جزاكم الله خيرًا.

---

(١) أي: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-.

(٢) أي: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله-، فقد عُيِّن مفتيًا عامًا للمملكة بعد وفاة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله وأسكنه فسيح جناته-.

الشيخ: «الحمد لله، السبيل في هذا، في هذه الأعصار، على طريقين:

الطريق الأول: إن أمكن فهو طريق ما كان عليه السلف -رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم-، وهو الرحلة في طلب العلم، هذا هو أمثل طريق، فقد رحل موسى -صلوات الله وسلامه عليه- إلى عبد الله الخضر -عليه السلام- وتعلَّم منه، وكذا رحل أصحاب رسول الله ﷺ في أحاديث يسمعونها إلى مصر و إلى الشام كما في حديث عبد الله بن أُنيس، ورحل التابعون من بعدهم وأتباع التابعين، وهكذا في القرون المفضلة المشهود لها بالخيرية، وأصبحت الرحلة بناءً على ذلك أمرًا أساسيًا ضروريًا عند أئمة الحديث وأهل الآثار والأخبار، حتى قالوا: (أربعة لا تُؤنِس منهم رُشدًا) وعدُّوا منهم (طالب حديث لا يرحل في طلبه)، ولعلكم تسألون عن بقية الأربعة قالوا: (ابن المُحَدِّث، ومنادي القاضي، وحارس الدَّرب، وطالب حديث لا يرحل في طلبه)[1].

فغالبا أبناء العلماء الغالب عليهم الزهادة، أزهد الناس في العلم أبناء العلماء، وأزهد العالم فيه كما قيل أهل بلده، وقبلهم أهل بيته؛ فابن المُحَدِّث، في الغالب إلا القليل النادر، تجده في باب غير باب والده، وهكذا ابن العالم في باب هو غير باب والده إلا في النادر، وكذلك حارس الدَّرب، كيف تؤنس منه وهو مشغول بالحراسة ذاهب جاي، ذاهب جاي طول الليل وهو يحرس الطريق، فما تؤنس منه شيئًا، ما تُحصِّل منه شيئًا، وكذلك منادي القاضي؛ هاه صاحب القضية الفلانية، من له قضية كذا، صاحب القضية، طول وقته وهو مشتغل بهذا، ما تؤنس منه شيء، وكذلك طالب حديث لا يرحل في طلبه.

---

(١) جاء هذا الأثر عن الإمام يحيى بن معين -رحمه الله-، انظر: «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي (ص ٤٧)، و«فتح المغيث» للسخاوي (٢ / ٣١٤).

طالب العلم ينبغي له أن يرحل؛ لأنَّ هذا من السُّـنن التي ورثناها عن السـلف الصـالح السـلف -رضي الله تعالى- عنهم؛ فإذا تأتَّى للإنسـان أن يرحل فإنَّ هذا هو الأصـل، يرحل إلى بلاد الحرمين خاصـة، فيلتقي بعلمائها في مكة المكرمة، في مدينة النبي ﷺ، وفي الرياض يلتقي بأهل العلم، العلماء الأجلاء، فيدرس عليهم، ويأخذ عنهم، ويتفقه في دين الله -سـبحانه وتعالى- بين أيديهم، فيعود وقد حمل العلم الكثير والفقه الكثير والخير الكثير.

فإن لم يتأتَّى له ذلك فلا أقل من أن يستعيض ويُسَلِّي نفسه بالأشرطة التي تصل إليه من شروح هؤلاء، شروح هؤلاء العلماء الأعلام لكلام الله وكلام رسوله ﷺ في الدروس والحلقات التي بين أيديهم يدرس فيها الطلبة عليهم، لاسيما الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله- فإنَّ دروسه نموذجية -رحمة الله ورضوانه عليه- كأنك أمامه، لو استمعت للشريط كأنك بين يديه لا يفوقك الحاضر إلا بشيء واحد؛ وهو أنه كل ما يخطر على باله أو يعرض له من السؤالات أو يتردد في صدره و يجد فيه إشكالًا يعرضه عليه فيفوز عليك بهذا، وأما الباقي فالشريط بين يديك، فإنك تسمع من العلم من هؤلاء العلماء، وتقريرهم للمسائل، وشرحهم لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، وتفسير كلام أهل العلم تسمع شيئًا من ذلك تَقرُّ به العين، وينشرح له الصدر، وتطمئن إليه النفس؛ فإن عَرَض لك بعد ذلك عارضٌ فإنَّ الهواتف قائمة بالمهاتفات والسؤال، أو بالمفاكسة بالفاكس، أوعن طريق ما يسَّر الله في الآونة الأخيرة من الاتصال بالبريد الإلكتروني الإنترنت، أو نحوه، أو المكاتبة؛ فإنَّ هذا كله خير.

ولم يزل أهل العلم من قديم يكاتب بعضهم بعضاً، ويُجيب بعضهم على أسئلة من كاتبه في سؤالاته، فهذا قائم ولله الحمد، هذه هي الطريق الثانية.

ثم يُلتمس من عندكم في بلادكم أو في قطركم إن لم يوجد أهل العلم[1]، فطلبة العلم المتمكنين الذين يُطمَئن إليهم وإلى منهجهم الصحيح، فيؤخذ على أيديهم أصول العلم كـ«ثلاثة الأصول»، و«كشف الشبهات»، و«القواعد الأربع»، وكـ«كتاب التوحيد» لمحمد عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-.

ثم «الواسطية» لشيخ الإسلام، ثم «الحموية»، ثم «الطحاوية»، «التدمرية»، «عمدة الأحكام»، «بلوغ المرام»، «نيل الأوطار»، وهكذا.

هذه الكتب التي يتفقه الناس في دين الله -سبحانه وتعالى-عليها.

ثم بعد ذلك إن أراد أن يدخل إلى المطولات، وآتاه الله -سبحانه وتعالى- سبباً يعني يستطيع به القراءة في هذه الكتب على أيدي أهل العلم إن رحل إليهم أو تيسرت له الفرصة فهذا خير عظيم.

فهذا الشيخ عبد المحسن -حفظه الله- خلُص من شرح الصحيحين وسنن النسائي، والآن في أبي داود، وبقي عليه الترمذي وابن ماجه[2]، فهذا خير عظيم، إذا لُوزم حلقات مثل هؤلاء فإنَّ هذا خيرٌ عظيم ينتفع به المرء أينما انتفاع.

فالواجب على العبد أن يتقيَ الله -سبحانه وتعالى- ما استطاع، فإذا لم يستطع الرحلة انتقل إلى الطريق الثانية، ثم أيضاً لزوُمه لمن قد كان هاجر وتعلَّم وانتفع وعاد إليهم أو إلى بلده

---

(١) وهذا الكلام من الشيخ كما رأيت في عام ١٤٢١هـ، ثم إنَّ الشيخ -حفظه الله- يثني على الشيخ فركوس والشيخ لزهر سنيقرة خيرًا، ويحيل أهل الجزائر عليهما، كما هو مشهور عن الشيخ من دروسه ولقاءاته ومحاضراته وكلماته.

(٢) انتهى -حفظه الله- من تدريس هذه الكتب كاملة، فقد درَّس الصحيحين، والسنن الأربعة، وفي هذا اليوم الذي هو الأحد ٧ ذي القعدة ١٤٤١هـ قد أتمَّ -حفظه الله- تعليقه على «موطأ الإمام مالك»، فلله الحمد والمنة.

منهم وهو موثوق في دينه وعلمه، فإنَّ هؤلاء يُطلب العلم عليهم ويستعان بهم بعد توفيق -سبحانه وتعالى- في تفهيم كلام الله -جلَّ وعلا- وكلام رسوله ﷺ.

والحذر كل الحذر لطالب العلم من الاشتغال بما لا يعود عليه بفائدة في وقته، وذلك بإهدار وقته كله في المهاترات والمنازعات والمشاجرات، يبين السُّنَّة ولا يُخاصم عليها، ويبين الحق ولا يُخاصم عليه، فإن جاءه مسترشد وعنده شيء من الشُّبَه ورأى فيه الحاجة إلى إزالتها وعنده المقدرة بيّن له، وإلا حفظ وقته كله؛ فإنَّ الوقت ثمين، والعمر قصير، ولا يستطيع المرء أن يضيع وقته في مثل هذه الأشياء مع هؤلاء العاطلين البطَّالين، فإذا حرص على وقته استفاد منه».

السائل: جزاكم الله خيرًا، شيخنا لعلنا نختم هذا المجلس بوصية للشباب السلفي عندنا في الجزائر.

الشيخ: «الحمد لله، الذي أوصي به نفسي أولاً وإخواني طلبة العلم السائرين على طريق السلف الصالح -رضي الله عنهم وأرضاهم- في الجزائر أولاً وفي كل مكان ثانيًا ممن يسمع مني هذا الكلام:

-أوصي نفسي وإياهم أولاً بتقوى الله -سبحانه-، ومراقبته في السر والعلن، وأن يكون قصده في جميع أعماله الله والدار الآخرة، لا أن يقال فلان فيه وفلان كيت وفلان كيت.

-ثم أوصيه بعد ذلك بطلب العلم؛ وإن كان طالب علم فأوصيه بالازدياد في طلب العلم؛ لأنَّ:

في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدا ... وجمالُ العلمِ[1] إصلاحُ العمل[2]

---

(١) قال الشيخ هنا: أو صلاح العلم.

(٢) هذا البيت من «لامية ابن الوردي» في الأخلاق والحِكَم.

-فالازدياد من العلم الشرعي هذا الذي أوصي به من كان طالب علم وكانت عنده القدرة والمُكنة وعنده أيضاً العقلية والصبر، فأنا أوصيه بأن يزداد من العلم، فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.

-وأوصيه أيضاً: بالعمل؛ فإنَّ العلم يُجَمِّله العمل ويُصلحه العمل، وإلا مجرد العلم من غير عمل به حُجَّة من الله -سبحانه وتعالى- على ابن آدم، وهو خصلة ذميمة قد ذمَّ الله -سبحانه وتعالى- عليها أهلها كما قال سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٣].

فالواجب علينا جميعًا أن نعمل؛ لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۝٣﴾ [العصر:٣] إيمانٌ وعملٌ.

-ثم بعد ذلك أوصيهم بالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، الدعوة إلى منهاج النبي ﷺ وأصحابه -رضي الله تعالى عنهم- من بعده، وما كان عليه السلف الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة.

-كما أوصيهم بالصبر، والأناة، وعدم التسرع والتعجل في سبيل الوصول إلى الغاية التي ينشدونها وهي إظهار دين الله وإعزازه ونصرته بين الناس؛ فإنَّ الله -سبحانه وتعالى- قد تكفل لك بالنصر إذا تكفلت له أنت بهذا من نفسك؛ الإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى هذا الدين والصبر والاحتساب في سبيل ذلك.

-وليكن همك هداية الناس وصلاح الناس، لا أنَّ الناس يتبعونك ويتركون فلان، أو يقبلون عليك ويتركون فلان، أو يذكرونك ويتركون فلان، أو ينحازوا إليك ويتحولوا عن فلان؛ كلُّ هذا يُخشى عليك أن يكون مُحبطًا لعملك نعوذ بالله؛ لأنَّ هذا هو الرياء وحُبُّ السمعة، وحُبُّ الذِّكْر، (يَا رَبِّ تَعَلَّمْتُ الْقُرْآنَ وَعَلَّمْتُهُ فِيكَ؛ فَيَقُولُ الله لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ

المَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، إنَّما قَرَأتَ لِيُقَالَ قَارِئٌ وَقَدْ قِيل، ثُمَّ يُؤمَرُ بِهِ فيُلْقَى عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ)[1] -عافنا الله وإياكم من ذلك-.

فالواجب علينا ذلك؛ أن نخلص لله في إيماننا، وأن نَصْدُق في ذلك، ثم نُصدِّق الاعتقاد والقول، نصدِّقه بالعمل؛ فإنَّ العمل يصدِّق أو يكذِّب، ثم ندعو بعد ذلك من نحب، وكل المؤمنين نحب لهم الخير، (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ)[2]، ما من مؤمن إلا ويرحم أخاه المؤمن، ويحب له الخير.

يقول النبي ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[3].

فالمحبة بين المؤمنين سمة من سمات المؤمنين، (مَثَلُهم فِي تَحَابِّهِمْ وتَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الوَاحِدِ)[4]، فنحن نحب لهم الصلاح، ونحب لهم الفلاح، ونحب لهم الخير؛ فإذن يجب أن ندعوهم إلى ذلك.

وإذا دعوناهم سيأتي الجاهل، وسيأتي المعاند، وسيأتي المعارض، وسيأتي صاحب الشُّبَه فيُبَيَّن لصاحب الشُّبَه، ويُطرق صاحب العناد والمعارضة بالحجج الدامغة التي تَفلجه، كل ذلك بالعلم والصبر والحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٠١١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم (١٤٣٠)، وأبو داود في «سننه» برقم (٥١٩٣)، وابن ماجه في «سننه» برقم (٦٨)، وصححه الألباني في «الإرواء» تحت رقم (٧٧٧).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٠١١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٥٨٦).

فإذا رأى الله -سبحانه وتعالى- منك ذلك فإنه يوفقك ويُسددك، والنصر لك بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

-كما أنصح نفسي وإخواني: بالحرص على الاختيار في التلقي، اختيار العلماء الذين يؤخذ عنهم، واختيار الكتب التي تُدْرَس وتُحفظ وتُفهم ويُتفقه عليها؛ فمن ضمنها الكتب التي ذكرناها لا شك في مقدمتها كتب الاعتقاد، كما ذكرت لكم المختصرة المُبَسَّطة من المتون.

ثم بعد ذلك الكتب المطولات، فيبدأ بـ «ثلاثة الأصول»، ثم «كتاب التوحيد»، ثم «كشف الشبهات»، ثم «الواسطية»، ثم بعد ذلك يأخذ «التدمرية» أو «الطحاوية»، ثم بعد ذلك يقرأ ما شاء من كتب السنن، سنن العقائد المسندة كـ «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، و«الشريعة» للآجُرِّي، وكـ «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، وكـ «الإبانة» لابن بطة الصغرى والكبرى، و«التوحيد» لابن منده، و«الإيمان» أيضاً لابن منده، و«التوحيد» لابن خزيمة، و«الصفات» للدراقطني، وهكذا من بقية الكتب التي يُتلقى منها العلم النافع.

ثم الكتب المختصرة في الحديث كـ «عمدة الأحكام»، ثم «بلوغ المرام»، والحمد لله عليها شروح متوافرة ومتكاثرة متيسرة ومُبَسَّطة، ثم أيضاً «نيل الأوطار على منتقى الأخبار» فهو شرح عظيم.

ثم بعد ذلك إذا ارتقى من هذه الكتب يقرأ بعد ذلك في شروح «الصحيحين»، والأمهات، و«مسند الإمام أحمد»، و«موطأ الإمام مالك» لاسيما كـ«التمهيد» لابن عبد البر، ذلكم الكتاب العظيم الذي أمضى فيه مؤلفه ثلاثين حِجَّة، ثلاثين سنة، فإنه يقول في آخره: (سميرُ فؤادي مُذ ثلاثين حِجَّة)، ثلاثين عامًا وهو في هذا الكتاب، شَحَنَهُ بفقه السلف وعلم السلف واعتقاد السلف، فرحمه الله -تعالى- من إمام حافظ جهبذ -رحمة الله ورضوانه عليه-.

وهكذا بقية الكتب النافعة: في مجال الفقه، مثل عندنا في فقه الحنابلة «الزاد-زاد المستقنع» و«الروض المربع» عليه أو كـ «منار السبيل»، لاسيما وقد اكتمل هذا الكتاب من الناحيتين الفقهية والحديثية، فقد خدمه علَّامة العصر ومحدثه الشيخ الإمام المجدد في علوم السنة والحديث الشيخ ناصر -رحمه الله- فإنه قد خدمه خدمةً عظيمةً في كتابه «إرواء الغليل»؛ فيحتاج الطالب إلى هذا الكتاب، طالب العلم والعالم والمجتهد أيضاً يحتاج إلى هذا الكتاب، فإنه قد بيَّن فيه منزلة الأحاديث التي استدل بها الشيخ ابن ضويان -رحمه الله تعالى-.

وهذان الكتابان من أشهر الكتب عندنا في مذهب الحنابلة عند المتأخرين، «منار السبيل شرح الدليل»، «دليل الطالب» لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، و«زاد المستقنع» للحجاوي مختصر من كتاب «المقنع» لموفق الدين بن قدامة، وشرحه «الروض المربع» لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي.

فهذان الكتابان هما محل الاعتناء عند طلبة العلم والمشايخ عندنا في الفقه والتفقه والتفقيه.

و«الحاشية» لابن قاسم -رحمه الله-، الشيخ عبد الرحمن بن قاسم -رحمه الله- على «الروض المربع» فإنها مفيدة لاسيما وقد شحنها باختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله تعالى عليه- وهو الذي إذا سمعه الناس أذعنوا له واطمأنت القلوب إليه، وضربت بِعَطَنٍ[1] في بابه -رحمة الله تعالى عليه-، وسلَّمت له بالإمامة في الدين -رحمة الله تعالى عليه-؛ فهذه «الحاشية» قد جمعت في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على هذا الكتاب، على «الزاد» و«الروض» «حاشية الروض المربع» «الروض المربع شرح زاد المستقنع»، وهذه «الحاشية» على «الروض» أيضاً، وأما عندكم في المذهب المالكي فأنتم أعرف بالمختصرات فيها في بلدانكم.

---

(١) جاء في «تهذيب اللغة» (٢/ ١٠٤) لأبي منصور الأزهري: (يُقَال ضَرَبَت الإبلُ بعَطَنٍ إِذا رَوِيَتْ ثمَّ بَرَكَتْ على المَاء).

فالحاصل هذه المختصرات لا نقولها من باب التعصب لآراء الرجال أو لأقوال الرجال، لا؛ ولكن لأنها مختصرة معتصرة من الكتب المطولة، قرَّبوها لطلبة العلم المبتدئين والمتوسطين والمنتهين، جعلوا لكل مرحلة ولكل سِنٍّ جعلوا لها كتاباً يناسبها؛ فأقول هذه هي الكتب.

وأما في التفسير فإنني أنصح أول ما أنصح بالكتاب العظيم، كتاب الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي -رحمه الله تعالىٰ- «تفسير القرآن العظيم»، ثم بعده «تفسير البغوي» معه كذلك، ثم بعدهم جميعًا «تفسير الإمام الطبري»، و«تفسير ابن أبي حاتم» وقد طبع -ولله الحمد- وإن كان جزءٌ منه مجموع في آخر الكتاب من الروم فما بعد؛ إلا أنَّ الأول كله كتاب ابن أبي حاتم المخطوط موجود -ولله الحمد- وقد طُبع.

ثم بعد ذلك «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي وهكذا بقية الكتب.

فهذه كتب العقائد وكتب التفسير، وكتب الفقه، وكتب الحديث.

وأما في أصول الفقه فكـ «الورقات» لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وكذلك النبذة المختصرة[1] لشيخنا الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله تعالى-؛ وأقول شيخنا عمومًا وإن كنت أنا لم أتتلمذ عليه، فلا يأتِ آتٍ ويقول تدلسون! نعم، أنا لم أتتلمذ عليه كما قرأت وتتلمذت على الشيخ عبد العزيز -رحمه الله تعالى- خمسة سنين، أمَّا الشيخ محمد فما جلست عليه في الحلقة، اللهم إلا في حلقاته في المسجد الحرام في رمضان، وإذا كان كذلك فكم له من طلاب، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يُعظم أجرهم، وأن يُجزل ثوابهم، وأن يبارك فيما تركوه من العلم النافع للناس من بعدهم.

---

(١) رسالة: «الأصول من علم الأصول».

فهذه هي الكتب التي أُوصي بها وما كان في معناها؛ فإنَّ الكتب كثيرة والعمر -كما قلت- قصير، وليختر الطالب ما كان جامعًا من هذه الكتب.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد»[1].

اعْتِنَاءُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ ذِيْ القَعْدَة عَامِ وَاحِدٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ

بِالمَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ -عَلَى نَبِيِّهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-

(١) انتهى هذا اللقاء الماتع، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو سهوٍ أو غفلةٍ أو نسيانٍ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.